الاجتماع

ونبذ الفرقة

مقدمة[1]

الحمد للَّه على فضله وإحسانه، والصلاة والسلام على نبينا مُحمَّد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن اجتماع المسلمين ونبذ الفرقة فيما بينهم أصل عظيم من أصول الدين، أمر اللَّه تعالى به وأمر به النَّبي ﷺ.

وقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال النَّبي ﷺ: **«إن اللَّه يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل اللَّه جَميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولَّاه اللَّه أمركم»**[2].

---

(١) ألقيت هذه المُحاضرة بِمدينة الأحساء فِي ١٥/ ٣/ ١٤٢٤هـ.

(٢) رواه الإمام مالك فِي الموطأ (٢/ ٩٩٠) كتاب الكلام، باب: ما جاء فِي إضاعة المَال وذي الوجهين، ورواه مسلم بنحوه فِي صحيحه (٣/ ١٣٤٠، برقم ١٧١٥) كتاب الأقضية، باب: النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة . . . كلاهما من حديث أبِي هريرة رضي الله عنه.

ومن المَعلوم: أنه لا دين إلا باجتماع الكلمة، ولا اجتماع إلا بإمامة وقيادة، ولا قيادة إلا بسمع وطاعة، كما قال السلف - رحِمهم اللَّه-.

ولقد كان العرب متفرقين قبل بعثة النَّبي ﷺ متناحرين تقوم بينهم الحروب الطويلة: كحرب داحس، والغبراء، ويوم بعاث، وغيرها من الحروب التي كانت تطول فيما بينهم إلى مائة سنة أو أكثر، وهم في صراع فيما بينهم وعداوة وبغضاء، وغارات وثارات؛ حَتَّى مَنَّ اللَّه عليهم ببعثة النَّبي ﷺ فدعاهم إلى عبادة اللَّه وحده لا شريك له، وإلى الاجتماع والأخوة فيما بينهم.

فاستجاب له من كتب اللَّه له السعادة، واجتمعوا تَحت راية التوحيد، وتَحت قيادة النَّبي ﷺ، فزال ما كان بينهم من شحناء، وعداوة، وأصبحوا إخوة متحابين بعد أن كانوا أعداء متنافرين، وذكَّرهم اللَّه -جل وعلا- بهذه النعمة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٧].

قال ابن عباس: «تُسَوَّد وجوه أهل الفرقة والاختلاف، وتُبَيَّض وجوه أهل الاجتماع والائتلاف»(١).

وقال ﷻ: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣].

لا يَجمع الناس إلا هذا الدين كما قال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولُها». فلا يَجمع القلوب، ويوحد الكلمة إلا العقيدة الصحيحة التي جاء بها مُحمَّد ﷺ.

ولا يَجمع القلوب، ويؤلف بَين الناس إلَّا الإيمان باللَّه وبرسوله، هذا هو الذي يَجمع بين الناس، ولهذا اجتمع المسلمون على رسول اللَّه ﷺ، وصاروا أمة واحدة، وصار لَهم هيبة في الأرض، وانتشر دين اللَّه في المشارق والمَغارب بسبب اجتماع الكلمة ووحدة الصف.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ

(١) انظر تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٩٢).

﴿رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦].

ثُمَّ لَما تُوفِّي رسول اللَّه ﷺ حصل اختلاف بين الصحابة فيمن يتولَّى الأمر بعد النَّبي ﷺ وسرعان ما زال، وانتهى خلافهم، واجتمعت كلمتهم على أبي بكر الصديق -رضي اللَّه تعالى عنه- فبايعوه على السمع والطاعة، فكان خير القائد بعد رسول اللَّه ﷺ، وهكذا كانت دولة الخلفاء الراشدين في عهد أبي بكر، وعمر، وعثمان.

ثُمَّ في آخر خلافة عثمان دبر اليهود المكر للمسلمين، وأرادوا تفريقهم فدسوا بينهم رجلًا يقال له: عبد اللَّه بن سبأ اليهودي، فجعل يطعن في أمير المؤمنين عثمان، وينشر بين الناس سبه وتنقصه في خُفية ومكر، وهو يتجول في بلاد المسلمين، وينشر أفكاره الخبيثة ضد أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه.

فاجتمع حوله من أوباش الناس وسفهائهم من مُختلف البلدان، وجاءوا وحاصروا عثمان رضي الله عنه في بيته، واستحلوا دمه، وقتلوه رضي الله عنه، فحصل بين المسلمين اختلاف شديد رغم أنَّهم بايعوا الخليفة الراشد الرابع، وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لكن لَمْ تنته دسيسة اليهود فواصلوا نشر الشر بين المسلمين، واختلف الناس على علي رضي الله عنه إلى أن قُتل، وآل الأمر إلى ابنه الحسن.

وتنازل الحسن رضي الله عنه عن الأمر لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وبتنازل الحسن رضي الله عنه اجتمعت الكلمة، وسُمي العام الذي تنازل فيه: عام الجماعة، فقام معاوية أمير المؤمنين رضي الله عنه بالأمر خير قيام، وساس

الناس بالعدل والحكمة، واجتمعت كلمة المسلمين في عهده، وتَحقق ما قال الرسول ﷺ حين قال ﷺ للحسن بن علي: «**إن ابني هذا سيد، وسيصلح اللَّه به بين طائفتين عظيمتين من المُسلمين**»[1].

فتحقق ذلك بتنازله رضي الله عنه لمعاوية بن أبي سفيان، وتَم الاجتماع -وللَّه الحمد- واندحرت فكرة اليهود التي روجوا لَها، وفسد عليهم الأمر، ومع ذلك لَمْ ييأسوا ولا يزالون كما قال اللَّه تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

لذلك فهم دائمًا ما يدسون الدسائس بين المسلمين يريدون بذلك تفريقهم؛ ولكن اللَّه تعالى يقيض للمسلمين من يَجتمعون عليه، ولو لَمْ يَحصل الاجتماع الكامل كما حصل في عهد الخُلفاء الراشدين، وفي عهد معاوية رضي الله عنه؛ لكن يَحصل الاجتماع في بعض البلدان، وتقوم جَماعات من المسلمين في كل إقليم وفي كل مصر من الأمصار، وصاروا دولًا بعد أن كانوا دولة واحدة؛ ولكن كل والٍ من ولاة هذه الدول يقوم في مَمْلكته بالأمر، ويَجتمع حوله المسلمون، والحمد للَّه.

وما زال الإسلام بخير وما زال المسلمون في خير، وكانت هذه البلاد لَها نصيب من الفرقة والاختلاف قبل القرن الثاني عشر وفيه أظهر اللَّه مُجددًا وداعيًا إلى اللَّه، وهو الشيخ المُجدد الإمام مُحمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله فدعا الناس إلى التوحيد، وإلى عبادة اللَّه وحده

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٤/ ٢٢٢٢، برقم ٧١٠٩) كتاب الفتن، باب: قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما: «إن ابني هذا لسيد، ولعل اللَّه أن يصلح به بين فئتين من المسلمين». من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

لا شريك له، وقيض اللَّه له من ولاة الأمر من قام معه بالأمر من آل سعود، فبايعوه على السمع والطاعة والجهاد؛ فتمت البيعة بين الإمام مُحمَّد بن سعود، والإمام الشيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب، واجتمعت كلمة المسلمين في أول الأمر في بلدهم.

ثُمَّ واصل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ الدعوة إلى اللَّه، وكاتب البلدان، وواصل الإمام مُحمَّد بن سعود رَحِمَهُ اللَّهُ الجهاد في سبيل اللَّه، وما هي إلا مدة يسيرة حَتَّى توحدت البلاد وسادها الأمن والاستقرار، وزال عنها كثير من أمور الجاهلية، واستقر الحكم فيها إلى كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ، وقام قائم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقائم الجهاد في سبيل اللَّه، وقائم الدعوة إلى اللَّه عَزَّوَجَلَّ، وتَم للمسلمين في هذه البلاد الأمر، واجتمعت كلمتهم، وسادهم الأمن والاستقرار، وأنعم اللَّه عليهم بوفرة الأرزاق، ولا تزال -وللَّه الحمد- هذا البلاد تَحت ظل هذه الدعوة المباركة، وتَحت هذه القيادة المباركة.

ولا تزال في خير واستقرار، وفي أمان، كل ذلك نتيجة الاجتماع، ونبذ الفرقة والاختلاف، وتوالت لَهم دول إلى وقتنا هذا كما ترون نَحن نعيش في نعمة -والحمد للَّه-: صحة العقيدة، وأمن في البلدان واستقرار، وحكم للشريعة، وأمر بالمعروف ونَهي عن المنكر، وهي نعمة عظيمة يَجب شكرها: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

نذكر هذه النعمة ونشكرها كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]. لا نذكرها على سبيل المدح، وإنَّما نذكرها على سبيل

الشكر للَّه تعالى، الذي أنعم بها علينا، وسببها ظاهر، وهو الاجتماع على كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ.

فالسمع والطاعة لولي أمر المسلمين نعمة نُحسد عليها، ولكن لا تنسوا أن الأعداء ما زالوا يدسون الدسائس فيما بيننا، يريدون تفريق كلمتنا، ويريدون زوال هذه النعمة عنَّا؛ لأن الكفار لا يُحبون أن يروا الإسلام وهو قائم، لا يرضون بذلك: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

فلنكن على حذر من هذه الدسائس، وهذه الأفكار التي تروج فيما بيننا لتفريق كلمتنا، وبث الأحقاد فيما بيننا حَتَّى نتعادى ونَختلف، وحَتَّى تسنح الفرصة للعدو ليتدخل، وأن يكون له مكان بيننا، ولكن نسأل اللَّه ﷻ أن يرد كيدهم في نُحورهم، وأن يقي المسلمين شرورهم؛ ولكن لابد من الانتباه، ولابد من التذكير بهذه النعمة، ولابد من التحذير من أسباب زوالها، فإن النعمة إذا لَمْ تُشكر؛ فإنَّها تُرفع، ويَحل مَحلها النقمة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

فيجب علينا الانتباه لهذا، وإذا حصل بيننا اختلاف فلنبادر إلى تسويته، وإلى التفاهم فيما بيننا، وأن يرجع المخطئ إلى الصواب ولا يكابر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

والرد إلى اللَّه هو الرد إلى كتاب اللَّه -القرآن-، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته بأن يُرجع إليه ﷺ، وبعد موته يُرجع إلى سنته كما قال ﷺ: «**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخُلفاء الراشدين المَهديين من بعدي تَمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدثات الأمور فإن كل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[(١)].

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**إنِّي تارك فيكم ما إن تَمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب اللَّه وسنتي**»[(٢)]. فهذا هو الواجب على المسلمين أن يرجعوا إلى كتاب اللَّه وإلى سنة رسول اللَّه ﷺ فيما شجر بينهم، وأن

---

(١) رواه الدارمي في سننه بنحوه (١/ ٤٥) في المقدمة، باب: اتباع السنة، ورواه الترمذي في سننه (٥/ ٤٣، برقم ٢٦٧٦) كتاب العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، ورواه ابن ماجه في سننه (١/ ١٥، برقم ٤٢) في المقدمة، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، كلهم من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، ورواه غيرهم.

(٢) رواه مالك في الموطأ بلاغًا (٢/ ٨٩٩، برقم (١٥٩٤)، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر. ورواه نحوه موصولًا ابن أبي عاصم في السنة -ظلال الجنة- (٢/ ٤٧٩، برقم ١٥٥٧)، والمروزي في السنة (٢٥- ٢٦، برقم ٦٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٧١، برقم ٣١٨) ومن طريقه البيهقي في الاعتقاد (ص٢٢٨). وأورده الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٠، برقم ٤٠).

ينهوا الخِلَاف والنِّزاع، وأن يَحذروا الفرقة والاختلاف والاستمرار في الخطأ، فإن الرجوع إلى الحق فضيلة.

والصحابة ﷺ كانوا يَختلفون في بعض المسائل الفقهية؛ ولكنهم يرجعون إلى الكتاب والسنة، فمن كان معه الصواب صاروا معه وأنْهَوا الخلاف.

هذا عثمان ﷺ يرى إتْمام الصلاة في منًى وكان يُصلي بالناس فيتم الصلاة، وكان عبد اللَّه بن مسعود يرى قصر الصلاة في منًى وكان يصلي مع عثمان ويتم معه الصلاة مع أنه يرى القصر، فقالوا له في ذلك فقال: «إن الاختلاف شر»[1]. فكان يصلي مع أمير المؤمنين عثمان، ويوافقه على رأيه، يتم الصلاة تفاديًا للخلاف والتفرق.

وهكذا يَجب على المسلمين أن يتلافوا الخلاف والتفرق ولا يُصِرُّ كل واحد على رأيه؛ بل يُحاولون جَمع الكلمة، وعدم التفرق والاختلاف، فإذا كان الأمر يرجع إلى اجتهاد فقهي فإن الناس يَجتمعون على كلمة واحدة ولا يكون ذلك الاختلاف سببًا للتفرق بينهم.

وفيما ضربته لكم من المثال في قصة عثمان وابن مسعود ﷺ خير شاهد على ذلك حَتَّى في العبادة والصلاة، فابن مسعود رجع إلى رأي عثمان وصلى معه، وأتَم الصلاة تفاديًا للفرقة، وقال: «إن الخِلَاف شر».

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٢٠٥-٢٠٦، برقم ١٩٠٦) بنحوه، كتاب المناسك، باب: الصلاة بِمنًى، من حديث عبد الرحمن بن يزيد.

وفي عهد الإمام أحْمَد رَحِمَهُ اللَّهُ كان المعتزلة استمالوا الخليفة المأمون، والمعتصم، والواثق، فدعوهم إلى القول بخلق القرآن، فأجابَهم هؤلاء الخُلفاء إلى ذلك؛ ثُمَّ أشاروا عليه أن يُجبر الناس على هذا القول؛ فأجبر الناس عليه، وصار يرهبهم ويعذبُهم، حَتَّى الإمام أحْمَد رَحِمَهُ اللَّهُ تناولوه بالضرب والسجن؛ ليقول بخلق القرآن، ويوافق الجهمية.

فَأَبَى رَحِمَهُ اللَّهُ وقال: هاتوا لي دليلًا من كتاب اللَّه، وسنة رسول اللَّه ﷺ وهم يضربونه ويغشى عليه، فإذا أفاق قالوا: يا ابن حنبل، قل: كذا، فيقول: هاتوا لي دليلًا من كتاب اللَّه، ومن سنة رسول اللَّه ﷺ، وظل هكذا يردد نفس العبارة، حَتَّى قال ابن أبي دؤاد المعتزلي: يا أمير المؤمنين! اقتله وهو في ذمتي، من شدة العداوة لإمام أهل السنة، الإمام أحمد، ومع كل ذلك يقول الإمام أحْمَد: هاتوا لي دليلًا من كتاب اللَّه، ومن سنة رسول اللَّه ﷺ[1].

ثُمَّ لَما اشتد الأمر بعلماء أهل السنة، اجتمعوا بالإمام أحْمَد، وقالوا: يا أبا عبد اللَّه! بلغ الأمر كما ترى، وحاولوه على أنه يَخلع إمامة الخليفة.

فقال لَهم: اتقوا اللَّه في دماء المسلمين، وحذرهم من ذلك، وصبر على المحنة، ولَمْ يَخلع يدًا من طاعة؛ بل صبر على الضرب

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٤٦-٢٤٧) من ترجمة الإمام أحْمَد بن حنبل -رحِمه اللَّه تعالَى-.

والتعذيب[١]؛ لأنه لو خلع يده من طاعة ولي الأمر لَحصل ضرر عظيم، وسُفكت الدماء، وتفرقت الكلمة، واختلَّ الأمن، فالإمام أحْمَد عمل بقول رسول اللَّه ﷺ: «**اسْمع وأطع، ولو أخذ مالك وضرب ظهرك**»[٢].

فصبر رضي الله عنه لأجل جمع الكلمة، وتفادي الفرقة والاختلاف، فواجب أن نسير على هذا الذي سار عليه سلفنا الصالح، وأن نتناسى الاختلاف فيما بيننا؛ بمعنى: أننا لا نتفرق في مسائل لَها احتمال هي عن اجتهاد، ما لَمْ يبلغ الأمر إِلَى الكفر، فإننا نصبر على طاعة ولي الأمر.

قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «دعانا النَّبي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: **أن بايعناه على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرةً علينا، وألَّا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من اللَّه فيه برهان**»[٣].

وذلك لأجل جَمع الكلمة، وتفادي اختلال الأمن، وسفك الدماء؛ لأن ما يَحصل من الفرقة والاختلاف أشد بكثير من الصبر على بعض المخالفات التي لا تصل إلى حد الكفر، ولا إلى حد الشرك، وهذا هو

---

(١) انظر: السنة لأبي بكر الخلال (ص ١٣٣)، والآداب الشرعية (١/ ١٩٥-١٩٦).

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٧٦، برقم ١٨٤٧)، وما بعده كتاب الإمارة، باب: وجوب ملازمة جَماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٣) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٤/ ٢٢١٠، برقم ٧٠٥٥، ٧٠٥٦) كتاب الفتن، باب: قول النَّبي ﷺ: «سترون بعدي أمورًا تنكرونَها».

أصل أهل السنة والجماعة أنَّهم يسمعون ويطيعون لولاة الأمر ولو حصل منهم خلل ما لَمْ يكن هذا الخلل يؤدي إلى الشرك الظاهر والكفر البواح الذي ليس فيه اختلاف، كل ذلك من أجل جَمع الكلمة وتفاديًا للفرقة؛ هذا هو منهج المسلمين، ومنهج أهل السنة والجماعة، وهو مدوَّن في كتب العقائد، وهذا أصل عظيم، وهو جَمع الكلمة وتفادي الفرقة.

وإذا كان عند الإنسان وعي؛ فليتفاهم مع إخوانه من طلبة العلم، يتفاهمون في هذا الأمر، ويقارنون بين المفاسد والمصالح.

ومعلوم أن من قواعد الدين: «ارتكاب أخف الضررين دفعًا لأعلاهُما»، وهذه قاعدة عظيمة، ونَحن الآن -كما ترون- في وقت فتن، ووقت شرور، والأعداء يتربصون بنا، ويدسون علينا الضغائن والدسائس، حَتَّى يفرقوا كلمتنا، وحَتَّى نتقاتل، ونتناحر فيما بيننا، كما حصل لهم ذلك في بلاد أخرى من سفك الدماء، ونَهب الأموال، وضياع الأعراض والفوضى، هم يريدون منا أن نلحق بهذه البلاد التي دمروها وخربوها؛ فعلينا أن ننتبه لهذه الدسائس والأحابيل الباطلة، وأن نَجتمع على كلمة واحدة: على دين اللَّه، وعلى عقيدة التوحيد، وعلى السمع والطاعة لولاة أمورنا، وأن نتناصح فيما بيننا، وأن نتلافى الخلاف الذي يؤدي إلى الفرقة.

والذي عنده رأي، أو فكر، أو اجتهاد في مسألة من المسائل يُخالف اجتهاد الآخر علينا أن نرجع إلى كتاب اللَّه، وسنة رسوله، ونأخذ

بالدليل، وننهي خلافنا، كما حصل من الصحابة ﷺ بعد وفاة رسول اللَّه ﷺ، اجْتَمعوا في سقيفة بني ساعدة، والرسول ﷺ مسجًّى بعد موته، فلم ينشغلوا بتجهيزه؛ بل اشتغلوا بإنْهَاء الخِلاف، فاجْتَمعوا في السقيفة، وما تفرقوا إلا وقد بايعوا الخليفة أبا بكر الصديق ﷺ، فلما انتهى الخِلاف واجتمعت الكلمة، انصرفوا إلى تَجهيز الرسول ﷺ.

فهذا يدل على أنَّهم لَمْ يتركوا الخِلَاف بين المسلمين يتفاقم وينتشر؛ بل بادروا في إزالته، وتوحيد كلمة المسلمين، وإغاظة العدو، وسد الطرق التي يتسلل إلينا منها.

فعلينا أن ننتبه لهذا الأمر، وأن نُحافظ على هذه النعمة، ونُحافظ على هذا الاجتماع الطيب، على كتاب اللَّه، وعلى سنة رسول اللَّه ﷺ، كما علينا أن نسعى بالنصيحة لمن رأينا عليه خطأً أو خللًا، فإننا ننصحه بالحكمة والموعظة الحسنة، والجِدَال بالتي هي أحسن، كما قال ﷺ: «**الدين النصيحة** -ثلاثًا-، قالوا: لمن يا رسول اللَّه؟ قال: **للَّه، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المُسلمين وعامتهم**»[1].

فالنصيحة مأخوذة من نصح الشيء إذا خلص[2]، فالنصيحة هي الخلوص من الغش، والخلوص من الخيانة؛ لئلا يكون في قلوب بعضنا على بعض غش أو خيانة فيما بيننا، أو فيما بيننا وبين ولي أمرنا، بل نكون ناصحين ظاهرنا كباطننا ناصحين للمسلمين ليس في قلوبنا

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه (١/ ٧٤، برقم ٩٥) كتاب الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة من حديث تَميم الداري ﷺ.
(٢) انظر: المُحكم والمُحيط الأعظم (٣/ ١٥٧) مادة مقلوبة (ن ص ح).

غش أو خديعة، وإنَّما ينشر الخلاف ويفرق بين الناس أهل النفاق، ومن ورائهم الكفار من اليهود والنصارى الذين يؤججون نار الخلاف، وينشرونه بين المسلمين.

وينبغي أن يُعلم أن المَسائل المَصيرية في حياة المُسلمين لا يتناولُها كل أحد؛ بل ينبغي أن تُرفع للعلماء، وأهل الرأي والمشورة، قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

فالأمور لَها مداخل، ولَها أصول، ولَها أهلها الذين يقومون بها، ليس من حق كل أحد أن يتدخل في الأمور العامة، وإنَّما يرد هذا الأمر إلى أهله أهل العلم وولاة الأمور: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾. هذا في حياته ﷺ، وبعد موته تُرَدُّ الأمور إلى سنته، وسنته يعرفها العلماء، فيرد إلى العلماء الذين يعرفون سنة الرسول ﷺ.

والمسلمون كالجسد الواحد، وكالبنيان يشد بعضهم بعضًا، فكل شيء له مرجع، وإلا صارت الأمور فوضى، فالمسائل العامة، والمسائل المصيرية ترد إلى المراجع المعتمدة إلى أهل الرأي، والبقية تبع لَهم.

فكلٌّ عليه مسئولية حسب ما يليق به، فلا يتدخل أحد في اختصاص الآخر، فهذا ليس من الصلاح ولا من الإصلاح؛ بل هذا من الفوضى، وليس هذا من النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم؛ بل هذا ممَّا يضر

المسلمين، ويشتت آراءهم وتَحدث بينهم البلبلة والتصدع، فالمسلمون جَماعة واحدة لَهم رءوس ولَهم قادة؛ كما قال الشاعر:

البيت لا يُبنى إلا على عمدٍ ... ولا عماد إذا لَمْ تُرْسَ أوتادُ
فإن تُجمع أوتاد وأعمدة ... وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لَهم ... ولا سراة إذا جهالُهم سادوا

فليست الأمور فوضى؛ لأن الفوضى لا يرضى بها اللَّه، ولا رسوله، ولا المسلمون، فالمسلمون لَهم قادة، ولَهم علماء، ولَهم مراجع يتولون مهام الأمر، والمشكلات العامة التي يتعلق بها مصير المسلمين، فيجب أن ننتبه لهذا الأمر، وأن نتناصح فيه، وأن ننصح إخواننا الذين يتعجلون الأمور ونقول لَهم: هذا ليس إليكم -أصلحكم اللَّه- هذا إلى مصادره ومراجعه، أنتم عليكم بشئونكم الخاصة، وبما يتعلق بكم، أما أمور المسلمين العامة، فهذه لَها مصادرها ولَها مرجعها: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

لاسيما عند الفتن التي تَحدث في المُجتمع، فهذه لا نتناولُها في مَجالسنا، ولا يتكلم فيها الصغير والكبير، والجاهل والمتعلم، وكل منهم له رأي فيها، فهذه فوضى، فالمسلمون كالجسد الواحد، وكل عضو له وظيفة، فلا يقوم عضو بوظيفة العضو الآخر، كذلك فلا يتولَّى رعاع الناس وصغار الأسنان والمبتدئون في طلب العلم يتولَّون المسائل الكبار التي تتعلق بمصير الأمة ومصلحتها.

هذه لَها أهلها المنوطة بهم، وأنت لك شأن خاص في خاصة نفسك، وفي أهل بيتك وأولادك؛ فأنت راعٍ على من تَحت يدك، ولهذا يقول ﷺ: «**كلكم راعٍ، وكلكم مسئول، فالإمام راعٍ وهو مسئول، والرجل راعٍ على أهله وهو مسئول، والمَرأة راعية على بيت زوجها وهي مسئولة**»[1].

فليس من صلاحيات الإمام أن يتدخل في البيت، فالبيوت يتولاها أصحابُها، وليس من صلاحيات أصحاب البيوت أن يتدخلوا في شأن الإمام؛ ولكن كلٌّ له مسئوليته، وكلٌّ له رعيته يقوم عليها، أما أن يتدخل هذا في شئون هذا فهذه فوضى، ولا تصلح، ونرجو من إخواننا وأبنائنا أن يفهموا هذا الأمر، لاسيما في هذه الظروف الصعبة، ويبعدوا عنهم الاختلاف، وتشتت الآراء، والتدخل فيما لا ينفع الإنسان، فإن هذا ليس من مصلحة المسلمين، وإنَّما يضرهم، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

وصلى اللَّه وسلم على نبينا مُحمَّد، وعلى آله وأصحابه أجْمَعين.

* * *

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٣/ ١٦٦٧-١٦٦٨، برقم ٥١٨٨) كتاب النكاح، باب: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما، وورد بلفظ قريب منه برقم (٥٢٠٠) من الصحيح.

الأسئلة

س: فضيلة الشيخ! ينادي المُسلمون بالاجتماع ونبذ الاختلاف؛ ولكن كيف يتم ذلك مع اختلاف مصادر التلقي عند أبناء الصحوة الإسلامية، ممَّا جعلهم يعيشون في دوامة الانْحِرَافات الفكرية، والتخبطات المَنهجية، ولذا نرجو علاج هذه القضية الخطرة؟

الجواب: نعم، هذا سؤال مهم، وهو أنه لابد للناس من طلب العلم، ولابد للناس من أن يتعلموا، ولكن أين يتعلمون؟ يتعلمون على أيدي أهل العلم، ويتلقون العلم على أهله ومصادره الأصيلة كما كان سلفنا الصالح -رحِمهم اللَّه- كانوا يتلقون العلم عن العلماء، ويسافرون إليهم، ولو في أقصى البلاد، ويصبرون على التعب والجوع والمشقة والغربة، ويسافرون لطلب العلم عن أهله.

كما قال قائلهم: «إن هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم». فلا تأخذوا العلم إلا عن أهله المعروفين به، لا تأخذوا العلم عن كل أحد، فلا تأخذوا العلم عن مضلل، أو ضال في عقيدته، أو في دينه، أو مبتدع، خذوا العلم عن العلماء من أهل السنة والجماعة، المَعروفين بالعلم، ولو أن تسافر إليهم، وتسكن عندهم.

واليوم -وللَّه الحمد- الأمور ميسرة، فسهل الآن التلقي عن أهل

العلم في المساجد، والمدارس، والمعاهد، وفي الجامعات، لا تتلقَّ العلم عن كتب تقرؤها؛ فتفهم خطأ، وتعتمد عليه.

كما لا تتلقَّ العلم عن صغار السن المبتدئين الذين لَمْ ترسخ أقدامهم في العلم، وأشد من ذلك لا تتلقَّ العلم من المبتدعين الضالين؛ بل تلقه من مصادره الصحيحة المعتمد عليها، وهي ميسرة -وللَّه الحمد- وإذا أشكل عليك شيء فالهاتف والجوال موجودان، اسأل، قال اللَّه تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

فالأمور ميسرة؛ ولكن بعض الناس لا يريدها، ولا يرى العلماء شيئًا، ولا يَخضع لهذا الأمر، أو بعضهم ما عنده صبر لتلقي العلم، وتلقي العلم يَحتاج إلى صبر طويل ووقت، والعلم كما يقولون: إذا أعطيته كُلَّك؛ أعطاك بعضه، واللَّه -جل وعلا- يقول: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

فلا تظن أنك إذا قرأت صرت عالمًا، ومن قال: أنا عالم، فهو جاهل كما يقول العلماء، فالإنسان دائمًا بحاجة إلى العلم، واللَّه -جل وعلا- قال لرسوله الذي هو أعلم الخلق، قال له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. فالرسول ﷺ بحاجة إلى زيادة العلم، فكيف بك أنت؟! فعليك بمعرفة قدر نفسك، واعلم أنك جاهل بحاجة إلى العلم، فلا تظن أنك تستغني عن العلم، وتستغني عن العلماء.

س: في باب الاجتماع ونبذ الفرقة، وفي لَمِّ الشمل وجَمع الكلمة، نأمل من معاليكم التكرم بتوجيه كلمة لشبابنا الذين هم في الأصل على

منهج السلف الصالح؛ لأهمية تَخلقهم بأخلاق السلف الصالح، والتماس العذر للمخالف من إخوانهم من أهل السنة والجماعة في الأمور التي تَختلف فيها الأفهام، وإساءة الظن، والحديث عن النيات خصوصًا من له مسوغ من قول بعض أهل العلم في هذه البلاد.

الجواب: هذا هو ما ذكرنا؛ فالإنسان لا يعتمد على علمه هو فيكون فهمه خطأ، لاسيما إذا كان ما عنده قواعد علمية، ما درس قواعد العلوم، وما درس المتون ولا فهمها، وإنَّما أخذ الأمر بالمطالعة، وهذا لا يصلح، فيجب طلب العلم، والجلوس بين يدي العلماء، يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

من لَمْ يذق ذل التعلم ساعة تَجرع كأس الجهل طول حياته

فلابد من الاتصال بأهل العلم، ولا تَحتقر العلماء، وتقول: هم لا يفهمون، ولا عندهم فهم في الواقع، وأنَّهم يعيشون في بروج عاجية كما يقول بعضهم، ويزهد في العلماء، ويُحقرهم، ويتهمهم بالانعزال والانطواء، وأنَّهم مشغولون بفقه الجزئيات، فهذا كله كلام للتنفير من أهل العلم، والفصل بين الشباب والعلماء، وإذا بلغ الأمر إلى هذا الحد فقل على الأمة السلام، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

س: كانت هذه البلاد، ولا تزال -بحمد اللَّه- تسير على منهج السلف الصالح، وكان أهلها متحابين من شرق البلاد إلى غربها ومن شَمالها إلى جنوبها، فما أسباب هذه التفرقة والاختلاف الذي نراه اليوم وهل هذه الفرق والجماعات التي نراها كلها على خير وهل يَجب بينهما

وحدة الصف لا وحدة الرأي كما يقال؟

الجواب: نطلب من اللَّه ﷻ أن يثبت أهل هذه البلاد على الحق، وتجنب الفرقة، قال اللَّه -جل وعلا-: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فننصح إخواننا الذين صار عندهم بعض الاختلاف، أو بعض التفرق في الرأي: أن يرجعوا إلى كتاب اللَّه، وإلى سنة رسوله ﷺ، وإلى منهج السلف الصالح، ويلزموا ذلك، والمخطئ يرجع عن خطئه، والمصيب يَحمد اللَّه على الصواب، ويسأل اللَّه الثبات عليه، فهذا هو المطلوب.

وأما من يقول بوجوب وحدة الصف دون وحدة الكلمة؛ فهذا مستحيل، وهذا تناقض، فكيف يتوحد الصف مع اختلاف الكلمة؟! لا يُمكن أن يتحد الصف مع اختلاف الكلمة، إنَّما يتحد الصف مع وحدة الكلمة.

س: هل تعد ما يُسمى بالجماعات الإسلامية والمَناهج من الاختلاف المَمنوع، أم من الاختلاف الجائز؟

الجواب: ليس هناك مناهج متعددة؛ إنَّما المنهج واحد، هو منهج الكتاب والسنة الذي عليه سلف الأمة، وما خالف هذا المنهج فهو مرفوض ومردود، قال اللَّه تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فننصح إخواننا الذين صار عندهم بعض الاختلاف: أن يرجعوا إلى كتاب اللَّه، وإلى سنة رسول اللَّه ﷺ، وإلى منهج السلف الصالح، ويلزموا ذلك، والمخطئ يرجع عن خطئه، والمصيب يَحمد اللَّه على الصواب، ويسأل اللَّه الثبات عليه، وهذا هو المطلوب.

* * *